**دور التربية الدينية في تأسيس أجيال المقاومة**

**ورقة مقدمة لمؤتمر الأسرة**

**المنعقد على هامش الجمعية العمومية للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين**

**دولة قطر - الدوحة**

**29/ جمادى الآخرة 1445 10/ يناير 2024**

**كتبها: عبد الحي يوسف**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.**

**هل هي حرب دينية؟**

**إن ثمة حرباً دينية يشنها أعداء الإسلام على الدين وأهله، وهذه الحرب نُذُرُها ظاهرة وبراهينها حاضرة، لكن من باب الذكرى – والذكرى تنفع المؤمنين – أسوق جملة من الشواهد ذات الدلالة الناطقة على المراد:**

**أولاً: إثر العدوان الصهيوني على قطاع غزة صرح الرئيس الأمريكي بايدن بكلام يدل على هذا المعنى حين قال: «لو لم توجد إسرائيل في هذه المنطقة لأوجدناها»، فأقرَّ بتصريحه هذا أن دولة الكيان الصهيوني مستعمَرةٌ صليبية أنشأتها الدول الكبرى لتشُنَّ حرباً بالوكالة على الإسلام وأهله، ولتكون شوكة في حلوق المسلمين**

**ثانياً: قبل ذلك أعلن الرئيس الأمريكي الأسبق (بوش الأب) في إحدى خطبه الانتخابية في الانتخابات التي جرت أواخر عام 1992، إن أميركا تقوم بدورها الحضاري المسيحي واليهودي في عالم اليوم بلا منافس، وهو ما يعني أن المسلمين غير متحضرين**

**ثالثاً: قبل هذين قرر الرئيس الأميركي الأسبق نيكسون في كتابه «الفرصة السانحة»، المعنى نفسه عندما كتب يقول «إن المسلم غير متحضر ودموي»، تعبيراً عن الوجدان الغربي في العداء للإسلام،**

**رابعاً: رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر عَبَّرت عن هذا العداء؛ عندما طالبت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي بالحفاظ على حلف الأطلنطي (الناتو) لمواجهة الخطر الإسلامي.**

**خامساً: صفقة القرن الأمريكية – التي كانت في عهد ترامب - بُنيت على استحضار الرواية الدينية "الإسرائيلية"، ولم تستطع إدارة بايدن التراجع عن الصفقة؛ بل استمرت في الضغط على الدول العربية واحدة تلو الأخرى للانضمام لاتفاقيات "أبراهام" للتطبيع، وهذا استحضار لمعني ديني (إبراهيم عليه السلام) محل تقدير في الديانتين الإسلامية واليهودية؛ وانطلاق نحو**[**التطبيع**](https://arabi21.com/stories/t/52725/0/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B7%D8%A8%D9%8A%D8%B9)**والسلام في المنطقة من أبعاد دينية أيضا، وهذا من العجب العاجب؛ ففي جانب تتمسك "إسرائيل" بادعاءاتها الدينية في القدس وفلسطين؛ ضاربة عُرض الحائط بكل الأعراف والقوانين الدولية، وبكل المشاعر العقائد العربية والإسلامية. وعلى الجانب الآخر يضغط الأمريكي على العرب والمسلمين للانخراط في اتفاقيات "أبراهام" من منطلقات السلام والعيش والمشترك.**

**سادساً: الشعارات الدينية التي يرفعها الصهاينة وقطعان المستوطنين حين اعتدائهم على المسجد الأقصى المبارك، حتى دفع ذلك رئيس المجلس الوطني الفلسطيني – روحي فتوح - إلى القول في بيان صحافي، إن "هذه الاعتداءات مدفوعة بفكر ديني عنصري، ومخططات عدائية تنتهجها الحكومة الإسرائيلية بهدف إفراغ المدينة المقدسة، وترحيل أصحابها الأصليين، والسيطرة على الأقصى"**

**سابعاً: أثار السيناتور الأمريكية، ليندسي غراهام ضجة بين رواد مواقع التواصل الاجتماعي عقب تصريحات تطرق فيها للأحداث في إسرائيل وغزة وقائلا "نحن في حرب دينية"، داعياً إسرائيل إلى "تسوية الأرض" للدفاع عن نفسها.**

**وبعد فهذا غيض من فيض، ولو طفق المرء يتابع الشواهد على هذا المعنى لما أعجزه أن يجد المئات من التصريحات والأفعال التي تؤكد أن ثمة حرباً دينية يشنها الصليبيون والصهاينة على الإسلام وأهله، نجدها في تصريحات كبير الفاتيكان السابق والرئيس الفرنسي الحالي، ونجدها كذلك في إجراءات للتضييق على المساجد أو حظر الحجاب أو منع تشييد المآذن أو غير ذلك مما يصدر هنا أو هناك في دول إسلامية أو أوروبية، وصدق الله العظيم إذ يقول {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم} ويقول سبحانه {ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق} ويقول جل من قائل {ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء} ويقول عز وجل {قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون}**

**سياسة تجفيف المنابع**

**في مقابل هذه الشعارات الدينية المرفوعة والإجراءات المتبوعة من قبل أعداء الإسلام نجد سياسة ناشطة فاعلة لتجفيف منابع التدين بين المسلمين، وهذه السياسات مفروضة من قبل الدول الكبرى، ومطلوب إعمالها بسرعة وحسم، وقد تمثل ذلك في جملة من التدابير، منها:**

1. **السيطرة على المساجد، وإغلاقها إن تطلب الأمر**
2. **الرقابة الصارمة على المطبوعات، وتعديل المناهج التعليمية**
3. **إلغاء المعاهد الدينية أو حصر نشاطها في مجرد تعليم العبادات دون المعاملات أو العقيدة**
4. **تقليص مساحة العلم الشرعي في الجامعات والكليات الشرعية الرسمية والخاصة إما برفع معدلات القبول أو التشدد في معايير القبول، مع تقليص مساحة تعليم الدين والإسلام في التعليم الأساسي، فضلاً عن التحكم والسيطرة في مضمون المناهج التعليمية.**
5. **محاصرة مساحة الدعوة الإسلامية في القنوات الإعلامية حيث أُغلق عدد من الفضائيات الإسلامية المهمة أو خفض سقف ما تبقى**
6. **منع كثير من العلماء والدعاة من الظهور على شاشات الإعلام، بل التضييق على مساهمتهم في وسائل التواصل الاجتماعي.**
7. **محاصرة العمل الخيري السني وخنقه وفسح المجال للمشاريع التبشيرية في ديار المسلمين**
8. **منع العمل الإسلامي السياسي عبر الأحزاب والانتخابات بحجة عدم تسييس الدين!**
9. **محاصرة خطبة الجمعة وإضعاف دورها في توعية المسلمين بإقصاء العلماء والخطباء المؤثرين وفرض الخطبة الموحدة وتحجيم دور المساجد على أداء الصلاة فقط وعدم بث الخطبة والإقامة والصلاة!**
10. **هناك خطط للاستيلاء على ركن الإسلام الرابع وهو الزكاة عبر تقنين إخراجها للمؤسسات الرسمية فقط، بل تم المناداة بتقديم الزكاة لهيئات الأمم المتحدة! والتي تستهلك مصاريفها الإدارية من الأموال الممنوحة ما يزيد عن 50%، ولذلك لم تحلّ مؤسسات الأمم المتحدة مشكلةً في أي بقعة في العالم!**
11. **تحريف المفاهيم؛ وذلك من خلال فرض دعاة للمناهج البدعية والمنحرفة في كليات الشريعة ومناهج التعليم وعلى منابر الإعلام وصفحات الجرائد تطبيقاً لتوصيات مراكز التفكير الغربية والشرقية، لتحريف مفاهيم الإسلام والدين في كافة المجالات، ويشترك في ذلك دعاة البدع والأهواء والعقلانيون والملحدون من أبناء الأمة ومن خارجها من المستشرقين والباحثين ودوائر الاستخبارات.**
12. **محاولة إحياء التعصب المذهبي وتحسينه وفرضه على الأئمة والمعلمين ومحاربة منهج التمسك بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة والفقه المقارن الذي سهل على الأمة دينها وجنّبها المشقة والمخالفة للحق والسنة النبوية.**
13. **حصر المناصب الدينية على من ترضى السلطات السياسية عنهم ويكونون طوع أمرهم لتمرير القرارات والمشاريع بهوى السلطان لا برضا الرحمن.**
14. **فتح المجال لكل العلمانيين والحداثيين واللادينيين للخوض في أحكام الشريعة والقوانين المنبثقة منها في الأحوال الشخصية لتطويعها لمفاهيم اتفاقية سيداو العالمية، التي تتناقض مع الإسلام تماماً في الكبيرة والصغيرة.**
15. **الضغط على كثير من الحركات الإسلامية وقادتها التكنوقراط والشرعيين للتنازل عن كثير من الثوابت الشرعية والقيام بمواءمات على حساب الإسلام والدين ليوافق الأهواء العلمانية والإلحادية.**
16. **محاولة تشويه مفاهيم شرعية كالجهاد والخلافة والحكم الإسلامي عن طريق التنظيمات المصنوعة – كداعش ورصيفاتها – وكذلك الميليشيات الشيعية المجرمة**
17. **تشجيع وتمويل الحركات الإلحادية والعلمانية المعادية للإسلام لخلق حالة من الخلخلة العقدية والانحرافات السلوكية بين أبناء المسلمين.**

**ماذا يجب علينا إزاء هذه الهجمة على الدين والمقدسات؟**

**أولاً: تربية جيل مسلم على جملة من المسلمات العقدية، وذلك عبر:**

1. **تثبيت الإيمان في القلوب؛ لأنه الحصن الحصين والحبل المتين، ومن أعظم الوسائل في تحصيل هذا الهدف تحفيظ القرآن الكريم، وذلك لما يحمل من بشائر للمؤمنين، وما فيه من قصص المرسلين بما تحمل من عبر {وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك} {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب} وقد رأينا أثر ذلك في حرب غزة الأخيرة؛ بما أذهل العالم كله في ثبات أهل غزة واحتسابهم فيما أصابهم**
2. **غرس عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، وأن الأمة كلها لن تنفع أحداً إلا بشيء قد كتبه الله له، ولن تضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وأن القلم قد جف بما كان**
3. **غرس الإيمان بسنة التدافع بين الحق والباطل، وأن ذلك قائم إلى حين الساعة، {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض} {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا} وما يروِّجه المهزومون من أن عصر القتال قد ولى يكذبه الواقع والتاريخ قبل أن تكذبه النصوص**
4. **غرس العزة الإيمانية في نفوس الناشئة والشباب؛ فلا يحني المؤمن رأسه ولا يذل نفسه، قال تعالى {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون} تلك العزة التي حملت أسامة رضي الله عنه على أن يلبس حلة ذي يزن، وحين تعجب من حاله حكيم بن حزام رضي الله عنه وقال له متعجباً: أتلبس حلة ذي يزن؟ كان جواب أسامة (وما يمنعني؟ فأنا خير منه وأبي خير من أبيه!!) فرجع حكيم يحكي لأهل مكة كلام أسامة وما تكاد أذنه تصدق ما سمع**
5. **غرس الأمل بأن نصر الله قريب وأن وعد الله آت، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا، وأنه لن يغلب عسر يسرين، {إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس} هذا الأمل الذي حمل أهل غزة المحاصرين المضطهدين المخذولين من القريب والبعيد أن يتحدثوا عن النصر وكأنهم يرونه رأي عين**
6. **غرس حب الجهاد في النفوس؛ وأن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، به يفرِّج الله الهم ويعظِّم الأجر، وأنه وظيفة النبيين وسنة المرسلين، فليس ثمة سبيل لاسترداد الحقوق وحماية الحدود وإرغام الأعداء إلا به، وكل سبيل سواه فهو {كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا}**
7. **غرس اليقين بأن النصر من عند الله، وأن من نصر الله نصره الله، وأن الله تعالى لا يخلف الميعاد وهو القائل {وإن جندنا لهم الغالبون} وهو القائل {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} وأنه ليس موقوفاً على عدد لا عُدد بل الله ينصر من شاء بما شاء كيف شاء، وما علينا سوى الأخذ بالأسباب وإعداد ما استطعنا من قوة**
8. **ترغيب المسلم في طلب الشهادة فهي أمل كل مؤمن، وقد قال عليه الصلاة والسلام (والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل) ولما سمع عليه الصلاة والسلام رجلاً يدعو فيقول: اللهم آتني أفضل ما آتيت عبادك الصالحين. قال له عليه الصلاة والسلام (إذن يعقر جوادك، ويهراق دمك)**

**ثانياً: تربية جيل مسلم على جملة من السلوكيات العملية، وذلك عبر:**

1. **تربيتهم على الالتزام بفرائض الدين وأركانه التي تميز المسلم عن غيره، فلا بد من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا**
2. **تنشئتهم على محاسن العادات في بر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الخلق وبذل الخير للناس، مع طلاقة الوجه وكف الأذى، وإتقان العمل**
3. **تنشئتهم على مكارم الأخلاق في الصبر والصدق والتواضع والإخلاص ومراقبة الله عز وجل، وحب الخير للخلق والحرص على هدايتهم**
4. **تربيتهم على التماس أسباب القوة في كل شيء؛ فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، فلا بد من قوة إيمانية وقوة علمية وقوة جسدية، وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى في ذلك كله، فكان إذا مشى تكفأ في مشيته كأنما ينحدر من صبب، وقد صارع ركانة بن عبد العزى فصرعه، فلا بد من ترغيب الشباب في الألعاب القتالية التي تفيدهم حين الحاجة إليها، مع تزهيدهم فيما سواها مما لا ينكأ عدواً ولا يحمي حقا**
5. **تحبيبهم في الرماية والسباحة والنزو على الخيل؛ فإن الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسابق بين الخيل المضمرة من مسجد بني زريق إلى ثنية الوداع، وقال مشجعاً أصحابه (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا) وقال (من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا) فليس ثمة وقت يضيع دون استعداد للجهاد وأخذ بأسبابه {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة}**

**ثالثاً: التنفير من جملة من مساوئ الأخلاق والعادات، وذلك عبر:**

1. **التحذير من الوهن النفسي الذي حذر منه القرآن {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون} {ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون} {فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون} وبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سبيل الهلاك (ينزع الله المهابة من صدور عدوكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن) قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال (حب الدنيا وكراهية الموت) وحين علم الصحابة ذلك واستيقنوه تسابقوا إلى الموت في سبيل الله؛ إيماناً منهم بأنه عين الحياة {ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون} وهذا الوهن النفسي هو الذي فعل في أمتي فعل السموم الفتاكة من حيث الرضا بالدون والقناعة بالواقع المشؤوم**
2. **التحذير من القعود عن الجهاد**
3. **التحذير من الجبن والشح؛ فإن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال) ونفى هاتين الخصلتين الذميمتين عن نفسه فقال (لا تجدونني بخيلاً ولا كذوباً ولا جبانا) وأخبرنا أن (شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع) والناظر في حال الأمة يجد المال عند بخيله والسيف عند جبانه، فما أكثر السلاح المكدس في خزائن الحكام، لكنه مدخر لقمع الشعوب أو لقتال الإخوة، والمال في بنوك الأعداء محبوس عن مصارفه الشرعية**
4. **التحذير من الميوعة والتخنث؛ فتلك أخلاق مرذولة؛ حذر منها نبينا صلى الله عليه وسلم حين لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن المخنثين من الرجال، ولعن الرجل يلبس لبسة المرأة، وحذر من الترف والنعومة، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول (اخشوشنوا واخلولقوا، وارموا الأغراض، وانزوا نزوا) فالإسلام يريد شباباً يصبر على المكاره ويتحمل المشاق**
5. **التحذير من العجز والكسل، تلك التي حملت ناساً كثيرين على أن يقفوا مكتوفين ومقدسات المسلمين مستباحة وحرماتهم منتهكة بدعوى أنهم لا يستطيعون فعل شيء**

**الوسائل الفاعلة المقترحة لتحصيل ما مضى**

1. **الحرص على تعريفهم بالنصوص الداعية إلى الجهاد في سبيل الله وحب الشهادة، وحفظ ما تيسر منها وربطها بالتفسير الميسر والشرح المختصر الذي يعين على استحضار المعاني عند الحاجة إليها**
2. **عرض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وتدريسها مع استنباط الدروس المستفادة منها، وقد روي عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أنه قال: «كنا نعلّم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نعلّم السورة من القران»[[1]](#footnote-1)وهذا هو الإمام الزهري عالم الحجاز والشام وهو من قدماء من عنوا بجمع السيرة، بل قيل إن سيرته أول سيرة ألفت في الإسلام[[2]](#footnote-2)، يقول: «في علم السيرة علم الدنيا والاخرة»[[3]](#footnote-3)، وإنها لكلمة صدق وحق، وروي عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: يا بني هذه شرف ابائكم، فلا تضيعوا ذكرها»[[4]](#footnote-4)**
3. **التركيز على إنتاج العلماء المعاصرين – خاصة في السيرة النبوية – نظراً لتفوقهم في التنبيه على الدروس والعبر المستفادة، وبعضهم برع في ربط السيرة بالواقع المعاش**
4. **الاستفادة من الوسائل الإيضاحية المتاحة والبرامج العلمية عبر الوسائط الحديثة في عرض السيرة والسنة**
5. **إنتاج عدد من البرامج المرئية والمسموعة الجاذبة التي تعوض زهد كثير من الشباب في القراءة**
6. **الحرص على إنتاج جملة من الأفلام والمسلسلات – وفق الضوابط الشرعية – مع التدقيق في المادة التاريخية، نظراً لسهولة إيصالها المعلومة، ولكونها أشد تركيزاً في الوصول إلى أذهان الناس**
7. **إشاعة فقه الجهاد الحقيقي في الأمة؛ وذلك ببيان أنواعه ومراتب كل نوع، وتقرير أن المسلمين سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم، وأنهم لا يقاتلون إلا من قاتلهم أو اعتدى عليهم، أما من ألقى السلم إلى المسلمين وكف يده عنهم فما جعل الله لهم عليهم سبيلا**
8. **بيان غايات الجهاد وأهدافه وأنه مشروع للدفاع عن الحق والخير ومقاومة الظلم والعدوان، وأنه مستمر إلى يوم القيامة، ليس الغرض منه استعباد الشعوب ولا امتصاص خيراتها أو مكاسب دنيوية، بل غرضه إعلاء كلمة الله عز وجل**
9. **إعداد مطبوعات مختصرة ومنشورات مركزة في تزييف الشبه التي أثارتها تنظيمات الضلال التي صنعت على عين المخابرات الصهيونية والصليبية لتشويه شريعة الجهاد وتنفير الناس من تلك الكلمة المباركة، وفضح منشأ تلك التنظيمات وأهدافها**

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خيرته من خلقه وأمينه على وحيه، وعلى آله وصحبه أجمعين،،،،،**

1. رواه الخطيب وابن عساكر [↑](#footnote-ref-1)
2. السيرة الحلبية 1/2 [↑](#footnote-ref-2)
3. رواه الخطيب وابن عساكر [↑](#footnote-ref-3)
4. شرح المواهب 1/473 [↑](#footnote-ref-4)